الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

كان اهل الحي يتناقشون ويتجادلون ويتشاتمون .. ويأخذ بعضهم احيانا بخناق بعض ، حين انطلق صوت النذير ، فالعدو الذي اقتحم عليهم الحي منذ خمسة عشر عاما ، وانتزع منهم بقعة من اقدس بقاعه ، واحتلها وحصنها بعد ان اجلى عنها اهلها ، وراح يهددهم منها ، ويمعن في تحديهم والاستخفاف بهم واذلالهم ... هذا العدو الذي لم يعرف تاريخ العداوات اقسى منه ولا اجرأ على الباطل ، يتوعدهم اليوم بغزو مقنع جديد يستهدف مياه الحي هذه المرة ، ويجعل من اسرائيل اسرائيلين . في سعة المساحة وحجم السكان ..

اصاخ اهل الحي باسماعهم ، واصابهم وجوم . وانتحى فريق منهم ناحية ، وراحوا يتباحثون في الخطر الداهم . لكن العراك ظل مستمرا ، وكانه تقولب ، فلا امل في خروجه من قوالبه .

في هذه اللحظة ، ارتفع صوت كبيرهم ، داعيا سائر كبار الحي الى التسامي على الخلافات ، وتناسي الاحقاد ، ووقف الصراع الداخلي ، لمعالجة الخطر الخارجي . وبدأ بنفسه ، فخفض سلاحه ، واسكت انصاره ولبى الرؤساء والملوك العرب النداء ، دون استثناء . فالدولة الداعية الى المؤتمر هي كبرى الشقيقات ، وموضوع المؤتمر هو اكبر قضية .

لقائل ان يقول : لكن الخطر الاسرائيلي كان هناك دائما ، فكيف اباح العرب لانفسهم ان يختلفوا وان يتنازعوا بضع سنين.. ولم يكفوا الا الان؟

النضال العربي في مرحلة جديدة

بقلم محمد النقاش

وجوابنا ان الجانب الاكبر من خلافات العرب ، على الاقل في الشرق ، انما كان بسبب هذا الخطر الاسرائيلي نفسه . فهو الذي كان حافزها الاول ، بل لعله كان بمثابة مفاعل ذري للثورات والانقلابات العربية ، وبالتالي للاصطدام بين عقليتين ومدرستين ، بلغ احيانا ذروة التفكيك والتحطيم للذرات العربية الفارقة في سبات التدهور .

كان لا بد من القضاء على عقلية الاستسلام والاسترخاء ، وخلق عقلية ثورية جديدة ، قادرة على مجابهة الدينامية الباغية في اسرائيل ، في كل ميدان ، في العلم والتخطيط والتنظيم والاقتصاد والدفاع ، ومن ثم دحرها والتخلص منها .

ولو لم تكن في شعبنا اثار عميقة من عهود الانحطاط والاستسلام ، ولو لم تكن في بعض زعمائنا . وكبرائنا بقايا من القبلية والجاهلية الاولى ، ولو لم تكن في كثير من النفوس ـ نفوس المثقفين احيانا ـ رواسب من عهود الاستعمار بما فيها من نظريات مضللة بالنسبة الى بيئتنا واوضاعنا ، ولولا تدخل اسلوبي منظم معلن حينا مستتر حينا ، من جانب الاجانب ، لاثمر النضال الثوري العربي ، ولما كانت هناك حاجة الى مؤتمر ذروة يؤكد وجود ثلاث عشرة دولة ودويلة عربية عام ١٩٦٤ ، رغم قيام نواة للوحدة العربية ، عام ١٩٥٨ ، كانت تجربتها ناجحة الى حد كبير .

كانت الثورية العربية على اي حال ، قد نجحت في كبح جماح الخطر الاسرائيلي ، ووضعته في حالة من الخدر ، فلم تخش صراعا داخليا غايته الاولى تقوية الامة العربية وجعلها في مستوى القدرة على محوه من الوجود . لكن الهدف الكبير لم يتحقق ، على الرغم مما بذل له . وكانت الطعنة الهائلة ، حين وقع الانقسام بين قوى ثورية . فلم يعد الصراع مقتصرا على التقدمية والرجعية ، على الوحدوية والانفصال، كانت الضربة هائلة بقيام صراع جديد بين التقدمية والتقدمية او ادعياء

التقدمية ، بين الوحدوية والوحدوية او ادعياء الوحدوية .

وفي هذا الوقت بالذات ، تحرك الشعبان الاسرائيلي ، وخرج من خدره ، ليغتنم الفرصة ويقفز قفاه من جديد ويشحذ نابه مرة اخرى .

وهنا ، كان على الزعامة العربية الاولى ، ان تتخذ قرارها الخطير. كان عليها ان تختار بين الماضي في الصراع الداخلي ، وبين التفرغ للخطر الخارجي .

وقد اختارت الثانية ، لا ارتجالا رعبورا في خطاب كما شاء بعضهم ان يعتقد ، بل بعد تأمل طويل وتفكير و فعي .

ذلك ان اسرائيل حددت للعدوان الجديد موعدا قريبا . وكان لابد للعرب من الرد عليه . ولما كانت المعركة مع اسرائيل ، سواء على الصعيد العسكري أو السياسي أو الاقتصادي ، تتطلب اكبر حشد من الجهود ، فمن الخير لا بل من الضرورة ، ان لا يضيع أي جهد حربي ، مهما يكن ضئيلا .

زد على ذلك ، أن قضية فلسطين حين يجد الجد ، تبقى بالنسبة الى العرب عامة ، قضية قومية ، أي أكثر فعالية في النفوس من اية قضية اجتماعية ، بمعنى انه اذا وجد عشرة مستعدون للقتال في سبيل الاشتراكية مثلا ، فهناك مائة مستعدون للقتال من اجل فلسطين . بل قضية الوحدة نفسها ، وهي قومية وعلى ما لها من اثر حاسم في قضية فلسطين ، لا تجد من يتجند لها بقدر ما تجد فلسطين مباشرة .

واخيرا ، كان لا بد من توضيح الخطوط ، ووضع النقاط على الحروف . ففي المؤتمر ، يتبين الابيض من الاسود ، ويعرف من المتأهب للزحف ، ومن المتمسك بالتخلف ، الم يعلن الرئيس عبد الناصر بان كل ما سيقال بين جدران المؤتمر ، سيعلن على الملأ ، فتتعرف الجماهير الى اهل العزم واهل النفاق ... وبذلك يغربل الصف العربي ، ويمشي معا اهل العزم وحدهم ، تاركين الاخرين لحساب عسير .. الحساب الاخير .

لكن الجميع دون استثناء ، استجابوا للنداء . وكان ذلك اول نجاح حققه مؤتمر الذروة ، قبل ان يعقد .

وثبت مرة جديدة ، ان هؤلاء العرب المتنافرين المتناحرين ، قد تتطفيء فيهم كل جذوة الا جذوة النخوة والنجدة ،.في القضايا القومية المصيرية .

ولسنا مضطرين لان نتهم احدا بالخوف من سخط الشعب ، وغضبة الجماهير . حسبنا ان نؤمن بالضمير العربي ، وبيقظته في ساعات الخطر .

بديهي انه كان على جدول اعمال مؤتمر الذروة العربي ، تحت سقف جامعة الدول العربية ، وسماء الجمهورية العربية المتحدة ، مادة وحيدة ، هي تقرير موقف تجاه اقدام اسرائيل على تحويل مياه نهر الاردن

لكن اشياء كثيرة حدثت على هامش المؤتمر ، وكانت احسن توطئة له. فقد حرص الرئيس عبد الناصر ، وهو رئيس الدولة التي اقترحت على امانة الجامعة توجيه الدعوة ، والتي فيها مقر هذه الجامعة ، حرص على ان يستقبل بنفسه جميع الوافدين من الرؤساء والملوك . وكان اللقاء البهيج ، مع ابهى المراسم ، اول مصول في اسوار الجليد القائمة بين القاهرة وبعض الاشقاء .

ومن ثم توالت الاجتماعات ، ثنائية وثلاثية . وسويت في الحال بعض الخلافات ، وقطعت تسوية ما تبقى شوطا لا بأس به . واهم ما جرى خارج المؤتمر ان جميع الدول العربية التي كانت قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية فيما بينها ، قررت استئناف هذه العلاقات في اقرب وقت.

اما رئاسة المؤتمر ، فمن حسن الحظ ان العراق كان صاحب الدور في ترؤس مجلس الجامعة . وليس العراق على خلاف مع احد . فاسندت الرئاسة الى المشير عبد السلام عارف ، رئيس الجمهورية العراقية وجرت الامور على خير ما يرام .

ويجب ان لا ندهش للسرعة التي تم فيها الوصول الى مقررات . فالموضوع بتحويل نهر الاردن ـ قديم ، وقد سبق لدول الجامعة ان درسته من قبل ، على ايدي لجان وهيئات منبثقة عنها ، اعلاها مجلس الدفاع المشترك ، واتخذت بشأنه مقررات ، بقيت جميعا دون تنفيذ .

ويمكن القول ان المؤتمر ، كان تجاه موقفين : اما ان يعلن مقاومة الدول العربية بالقوة لكل عملية تحويل تقوم بها اسرائيل ، واما الافادة من مياه الروافد التي تصب في نهر الاردن ، وبالتالي حرمان اسرائيل من نصف المياه التي كانت تعزم سرقتها ، وتعريض مخزون طبريا من المياه لمزيد من الملح ، أي بالاختصار توجيه ضربة شديدة الى مشروع اسرائيل الرامي في الحقيقة الى تحصيب صحراء النقب .

ويبدو ان الموقف الاول استبعد منذ اللحظة الاولى . فهذا الموقف كان ذا محرج واحد ، هو الحرب . والظهور امام الدول المتعاطفة مع اسرائيل ، بمظهر المعتدي ، اضف الى ذلك انه تسليم لاسرائيل ان تختار هي وحدها ، ساعة المعركة . وفي هذا ما فيه من افضلية لها ..

ومع ذلك ، فربما كان هذا الموقف اقرب تناولا ، واعجل في تصفية المشكلة الاسرائيلية . هذا لو كنا نعيش نحن واسرائيل وحدنا في هذا العالم ، ولم تكن هناك ملابسات ومضاعفات دولية ، قد نعرف كيف تبدأ ، ولا ندري كيف تنتهي . ثم لو كنا على الاخص دولة واحدة بدلا من ثلاث عشرة ... دولة واحدة على الاقل من حول اسرائيل .

وهكذا ، اختير الموقف الثاني . وهو موقف حازم دون تهور ولا تسرع . فقد صبرنا خمسة عشر عاما على وجود اسرائيل غير الشرعي . وليس من مصلحتنا ان نستعجل الامور دفعة واحدة ، لا سيما وامامنا فرص للعمل في المستقبل ، أكثر امانا واحسن ضمانا .

في اقدامنا على تحويل مياه الروافد ، او بعض الروافد ـ الحاصباني في لبنان وبانياس في سوريا ـ انما نقوم بعمل شرعي ، يقرنا عليه الحق الدولي . واذا ما تحركت اسرائيل ضدنا ، فستكون هي الموصومة بالعدوان . وذلك مما يجعل تدخل الدول العاطفة على اسرائيل صعبا ، ان لم نقل مستحيلا . كما ان حظنا من النصر في الميدان يكون اوفر ، اذ نكون قد اتخذنا اهبتنا واعددنا العدة في تنظيم قيادتنا المشتركة العامة ، وحددنا نحن ساعة الصفر .

فالقرار الثاني بعد تحويل الروافد هو انشاء هذه القيادة الموحدة. وقد اختير لها ضابط مصري كبير هو الفريق علي علي عامر رئيس اركان القوى المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة .

واتخذ المؤتمر قرارا بتنظيم الشعب الفلسطيني . دون ان يحدد معالم هذا التنظيم .

ويبدو انه ترك الامر في ايدي الفلسطينيين اولا ، يتباحثون فيه ، ويخرجونه الى حيز الواقع . وبالفعل بدأ السيد احمد الشقيري مندوب فلسطين لدى جامعة الدول العربية ، بدأ المهمة بجولة في البقاع التي يحتشد فيها النازحون .

ويلوح لنا أن تعاون المملكة الاردنية في تحقيق التنظيم الفلسطيني ـ وهو ما قبلت به لاول مرة . سيكون ذا اثر فعال في هذا التنظيم .

وما من احد يتجاهل اهمية الدور الذي يمكن ان يؤديه الفلسطينيون في تحرير ديارهم ، سواء في المعترك السياسي الدولي او في ميادين النضال المسلح .

وتتجه الانظار اول ما تتجه الى ايجاد هيئة تمثل الشعب الفلسطيني برمته ، وتستطيع التحدث باسمه ، كما تستطيع استغلال ما لديه من قوى النضال وتنسيق نشاطها مع نشاط القوى العربية الاخرى.

ويقول السيد الشقيري ان انشاء حكومة فلسطينية في قطاع فلسطيني او في المنفى غير وارد .

وبذلك يمكن تحاشي مسألة السيادة على الضفة الغربية او قطاع غزة . والارجح انشاء مكتب سياسي ، يشترك فيه ممثلون لجميع القطاعات الفلسطينية . ولم ينوه السيد الشقيري بوسيلة اختيار اعضاء هذا المكتب . لكن لا ريب ان عملية الانتخاب او الاستفتاء هي اصلح السبل ، لا سيما وان حكومة عمان توافق الان على اجراء مثل هذه العملية في الضفة الغربية .

ان تحويل الروافد وانشاء القيادة الموحدة وتنظيم الشعب الفلسطيني هي الرئيسية في المؤتمر العالي .

اما بقية القرارات ، فليست ثانوية بالطبع ، لكنها ذات طابع تكميلي.

فالمضي في تنقية الجو العربي امر لا مفر منه . اذ كيف يعقل ان تؤلف دول الجامعة صفا واحدا في وجه الخطر الاسرائيلي . وان تبقى صفوفا متعارضة او متجابهة فيما بينها ؟ كيف يعقل ان تحارب القاهرة والرياض جنبا لجنب ضد اسرائيل ـ وكذلك الجزائر والمغرب ـ وتكون احدهما مشتبكة او على وشك الاشتباك مع الاخرى ؟

التضامن العربي على كل صعيد ، على الحدود ، وعلى اجهزة الاعلام ، وفي العلاقات الديبلوماسية .. هذا التضامن بات ضروريا ، وهو يتحقق كما يبدو بسرعة مدهشة .

ثم تأتي مناشدة دول آسيا وافريقيا اولا ، وسائر الدول الحرة المحبة للسلام ، ان تشد ازر العرب في دفاعهم المشروع عن حقهم ، ونضالهم للانتصار على ما يقاسونه من تخلف اقتصادي واجتماعي ، والتأكيد لهذه الدول بأن عملية اسرائيل في تحويل نهر الاردن ، انما هي استجابة لمطامعها التوسعية وزيادة مراكز العدوان فيها ، مع حرمان العرب من مياه تؤدي دورا كبيرا في نهضتهم الانمائية . على ان المؤتمر بعد هذه المناشدة الطيبة ، لم ينس ان يذكر الجميع ، بان الدول العربية ستأخذ بعين الاعتبار موقف كل دولة من دفاعها المشروع ، وتقرر طبيعة علاقاتها السياسية والاقتصادية معها على ضوء هذا الموقف .

وفي هذا اشارة من طرف خفي الى عنصر النفط العربي ، وانزاله الى المعركة ، اذا ما خطر لبعضهم ان ينصر الباطل الاسرائيلي على حساب حقنا ، فيشرب من بئرنا ويلقي فيها الحجارة ...

وينتهي بلاغ المؤتمر بالتشديد على تمسك العرب بميثاق الامم المتحدة والسلام والتعايش السلمي ، لكنه يخصص فيقول السلام القائم على الحق والعدل . اما التعايش السلمي فبديهي ان لا يكون ـ ولو لم يشر البلاغ الى ذلك ـ بين اناس آمنين وادعين ومعتدين اثمين دخلوا عليهم عقر دارهم، فاخرجوا منها مليون انسان ، وحلوا محلهم ظلما وعنوة.

اما القرار الاخير ، فهو ان يجتمع الرؤساء والملوك مرة في السنة على الاقل . وبالفعل قرروا موعدا لاجتماعهم المقبل ، وهو شهر آب من هذا العام أي بعد ستة اشهر .

وفي هذا القرار دليل قاطع على ما لمسه المؤتمرون من نجاح مؤتمرهم الاول ، ولا عجب ، فليس كالاتصال الشخصي ، وتبادل الرأي والمشورة عن كثب ، وسيلة للتفاهم والتضامن ، وتبديد الشكوك والغيوم.

***

هذا ملخص لمقررات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة ، ما بين ١٣ و١٧ كانون الثاني ١٩٦٤ ، بحضور رؤساء ثلاث عشرة دولة ، بينها ثماني جمهوريات واربع ممالك وامارة واحدة .

وقد صيغت عبارات البلاغ بلهجة هادئة بعيدة عن الحماسة والتهويل ، حتى اتهمه بعضهم بانه بارد .

وقال اخرون : نفضل بلاغا باردا ، واعمالا حارة ، على بلاغ حار لا يلبث ان يتبخر ...

والواقع اننا نتفاءل بالسرعة والدقة في التنفيذ ، قدر تفاؤلنا بنجاح المؤتمر في الوصول الى قرارات .

وبالفعل ، انتدب الملوك والرؤساء مبعوثين خاصين للجامعة ، يسهرون على تنفيذ مقرراتهم .

اما سر تفاؤلنا ، فهو ان بين الرؤساء حفنة من الثوار ، في طليعتهم الثائر الاول جمال عبد الناصر ، تمرسوا بالنضال المنظم قبل الحكم ، وبالعمل المنظم في الحكم ، فلا يمكن ان يتهاونوا او يتراخوا في اخراج القرارات من دنيا الحبر والورق الى دنيا الواقع .

وحسن التنفيذ في افضل الحالات لا يقضي الى القضاء على اسرائيل ، الا في حالة واحدة هي ان تبادرنا بالعدوان وتجدنا على خير ما يرام من التأهب . وحتى في هذه الحالة ، لا يستبعد تدخل دول اخرى ، في طليعتها الولايات المتحدة ، كما اعلنت ذلك صراحة ، سواء أكان البادئون بالحرب العرب او الصهاينة . بل لعل الولايات المتحدة لن تدخل حينئذ الا متى رأت اسرائيل عرضة للهزيمة ... وعلى العرب حينئذ ان يمضوا في القتال مهما تكن العواقب .

حسن التنفيذ على الاقل سيحول دون تكرار مأساة ١٩٤٨ . فالدول العربية اليوم المستقلة فعلا اكثر عددا واعز جندا ، واوفى مالا ، وعلى الاخص اشد عزما وتصميما .

صحيح ان اسرائيل بدورها باتت اقوى مما كانت اضعافا . لكن العرب ووراءهم معركة السويس ، ومعركة الجزائر ، ومعركة اليمن ، ولديهم ساحتهم الشاسعة ، وحجمهم الكبير في السكان ، وعنصر النفط الحيوي بالنسبة الى الغرب حليف اميركا ، ثم هذا المؤتمر الذي جمع شملهم ووحد كلمتهم وقيادتهم العسكرية ، يبدون في موقف راجح . ولئن لم تقع الحرب ، ونجح العرب في احباط المشروع الاسرائيلي ، بتخصيب النقب ، اصابوا نصرا كبيرا . وبات عامل الزمن في جانبهم هم يقوون على كل صعيد ، بينما اسرائيل تبقى مجمدة حيث هي .

اجل ، المطلوب من حسن التنفيذ أن يبقى على اسرائيل مجمدة ، خاضعة للمقاطعة الاقتصادية ، محشورة في رقعتها الضيقة ، قلقة غير مستقرة وسط محيط عربي مناوىء معاد لا تملك ان تفتح عليه نافذة ، تستنشق منها الهواء . ومتى تم ترك طعنة الاجهاز الى اليوم المناسب .

مما لا جدال فيه ان مؤتمر الذروة عزز كيان الجامعة العربية ورفع من هيبتها .

بل ان الاتفاق على مؤتمر دوري لرؤساء دولها ، وانشاء قيادة عسكرية موحدة ، الى جانب اتفاقات سابقة ولاحقة بصدد الغاء تأشيرة السفر والاعفاء الجمركي او التعرفة المخفضة ، كل ذلك من شأنه تحويل الجامعة الى كونفدراسيون عربي ، اي الى دولة شبه اتحادية .

وفي هذه الحال ، الناجمة عن مبدأ التصافي والتضامن بين الانظمة العربية القائمة ، يقف سؤالان كبيران ليفرضا نفسيهما :

١ ـ ما عسى ان يكون مصير الدعوة الوحدوية ؟

٢ ـ وما عسى ان يحل بالدفع الثوري الاشتراكي ؟

لعل الاجابة عن هذين السؤالين تتطلب مقالا خاصا .

لكننا بكثير من الايجاز ، نجيب ان الدعوة التقدمية الاشتراكية تدخل الان مرحلة جديدة ، وترتدي طابعا اخر ..

فمرحلة القتال الباسل العنيف الذي كانت تدعمه القاهرة بجميع ما لديها من طاقات ، من اجل الوحدة والاشتراكية ، قد انتهت .

ونحن نؤمن بان هذا النضال قد ادى دوره في خلق الوعي اللازم ، وغرسه في نفوس الجماهير .

بقي على هذه الجماهير ان تسلك طريقها ـ وبوسائلها الخاصة ـ الى الوحدة والاشتراكية .

وبقي ان الجمهورية العربية المتحدة في المشرق ، والجزائر في المغرب ، ستكونان نموذجين حيين لنجاح التجربة الاشتراكية .

وبقي ان التقارب العربي الكبير الذي مهد له في مؤتمر الذروة ، قد يكون عند التنفيذ مغريا بمزيد من الخطوات والتدابير التي تحقق جوانب من الوحدة على الصعيد العملي . كما ان عدم النجاح سيؤدي حتما الى العودة نحو الخط الوحدوي الصريح .

وهنالك ايضا بارقة امل اخرى . وهي ان المؤتمر لم يشر من قريب او بعيد الى ضرورة تحجير الاوضاع الحالية . لا سيما وميثاق الجامعة الفضفاض نفسه ، ينص في مادته التاسعة على امكان اتحاد دولتين او اكثر .

فقد يلهم الله والاحداث بعض الدول العربية ان تتحد في دولة فدرالية .

ولا شك ان الوحدويين سيظلون على معتقدهم ، وهو ان الوحدة قدر الامة العربية ، وان من بعض ثمار هذه الوحدة ، القضاء على الخطر الاسرائيلي بشكل حاسم .

محمد النقاش